المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (58) يونيو 2024
Volume (58) June 2024
IJOHSS

العناد التهكمي في خطاب التنزيل

ا.م.د. مهند مرموص عبود
كلية الآداب، الجامعة العراقية، العراق
البريد الالكتروني: Muhannadabbod5@gmail.com

الملخص
يمتاز تصور الخطاب القرآني ؛ ولا سيما في خطابه مع المعاندين والمتحدين بلونٍ فريد من جمع المتناقضات و المتعاندات على صعيد التلقي قصد إيغال الأثر في نفوس العتات . ولست بدعاً ممن لوَح لهذه الظاهرة ؛ بل مسبوق ببضعة شواهد وقف عليها السابقون - ووا أسفا - كررها اللاحقون ، كأن البيان الأعلى يخلو من مثيلاتها .
ومن هذا التصور أطلق عنان التجربة وأخوض غمار البحث في (العناد التهكمي) وأضع بين يدي القارئ أمثلة جديدة لظاهرة يتفرد بها القران الكريم في التشكيل والقصد منها العامل النفسي ، وما له من أثر بالغ في هزيمة المعاندين .
ومن أسلوب الحكيم أن تكون الاجابة أوسع من السؤال والتقديم يفي بالتصور ؛ لأن العناد شقان : تهكم وتمليح ، فإن كان التهكم مدار الحوار ونص القرار ، فماذا عن تمظهر التمليح في التمكين والتصريح .

الكلمات المفتاحية: العناد التهكمي، خطاب التنزيل القرآني.

DOI: https://doi.org/10.33193/IJoHSS.58.2024.710

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (58) يونيو 2024
Volume (58) June 2024
IJOHSS

Ironic Stubbornness in the Download Speech

Asst. Lect.Dr. Muhannad Marmous Abboud
College of Arts, Al-Iraqia University, Iraq
Email: Muhannadabbod5@gmail.com

ABSTRACT

It enhances the perception of the Qur'anic discourse. Especially in his speech with the stubborn and united people, with a unique style of combining contradictions and stubborn things at the level of reception, with the aim of making a strong impact on the souls of the oppressed. I am not an innovator who suggested this phenomenon; Rather, it is preceded by a few pieces of evidence that were noted by the predecessors and - alas - repeated by the later ones, as if the supreme statement was devoid of similar ones.

From this perception, I unleash the experience and delve into research into (ironic stubbornness) and place before the reader new examples of a phenomenon that is unique to the Holy Qur'an in shaping and intending the psychological factor, and its profound impact in defeating the stubborn.

It is the style of the wise man that the answer be broader than the question and the presentation satisfies the perception. Because stubbornness is two-fold: sarcasm and salting. If sarcasm is the focus of the dialogue and the text of the decision, then what about the manifestation of salting in empowerment and statement?

Keywords: sarcastic stubbornness, the discourse of Qur'anic revelation.

DOI: https://doi.org/10.33193/IJoHSS.58.2024.710

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (58) يونيو 2024
Volume (58) June 2024
IJOHSS

تأسيس

معلوم لدى أهل الصنعة أن العامل النفسي أصل في أبعاد النظم الوظيفية والدلالية ، وإن جانبه بعض الدارسين من غير قصد ، وبعضهم (ثاني عطفه) ؛ بيد أن الجرجاني حسم الجدال مبكرا في كتابيه بقوله (فأول ذلك وأظهره أن أنس النفوس موقوف على أن تخرجها من خفي إلى جلي وتأتيها بصريح بعد مكني)[1] ويقول (... وأن تنقلها من العقل إلى الاحساس وعما يعلم بالفكر إلى ما يعلم بالاضطرار والطبع ، ومعلوم أن العلم الأول أتى النفس أولاَ عن طريق الحواس والطباع ثم من جهة النظر والروية)[2]

ويعزز هذا التصور الخطاب القرآني ؛ ولا سيما في خطابه مع المعاندين والمتحدين بلون فريد من جمع المتناقضات و المتعاندات على صعيد التلقي قصد إيغال الأثر في نفوس العتات . ولست بدعاً ممن لوَح لذه الظاهرة ؛ بل مسبوق ببضعة شواهد وقف عليها السابقون – ووا أسفا – كررها اللاحقون ، كأن البيان الأعلى يخلو من مثيلاتها .

ومن هذا التصور أطلق عنان التجربة وأخوض غمار البحث في (العناد التهكمي) وأضع بين يدي القارئ أمثلة جديدة لظاهرة يتفرد بها القران الكريم في التشكيل والقصد منها العامل النفسي ، وما له من أثر بالغ في هزيمة المعاندين .

ومن أسلوب الحكيم أن تكون الاجابة أوسع من السؤال[3] والتقديم يفي بالتصور ؛ لأن العناد شقان : تهكم وتمليح ، فإن كان التهكم مدار الحوار ونص القرار ، فماذا عن تمظهر التمليح في التمكين والتصريح .

هذه التساؤلات تفضي لطالب العلم بالوقوف على الثغور ؛ إذ لا تمليح في القرآن ؛ لأن التمليح أقل درجات الاستهزاء والعناد في القرآن القصد منه أعلى درجات الاستهزاء ، وهو نوع من العذاب النفسي كما ذكرت سابقا . ومن هنا دعوة للباحثين أن يقفوا على العناد التمليحي خارج القرآن الكريم ؛ علماَ انه نوع من التربية الخطابية ، موجود في السنة النبوية وأقوال الفقهاء ، ناهيك عن أقوال العامة .

سلكت في هذا المسعى فج البلاغة الموضوعية التحليلية ، ولا يعني الغنى عن المناهج الباقية ، فمثل هذه الموضوعات بها حاجة إلى الاحصائية ، ولست محتاجاً إلى قواعد ومبادئ علم النفس إلا بقدر ما أثبته النقاد والادباء باعتباره جزءاً من منهج متكامل للنقد الادبي [4] ، وعدم الايغال بمصطلحاته ونظرياته ؛ حتى لا نقع في الأغلاط التي وقع فيها من سبقنا يوم أخضعوا معيارية البلاغة والنقد للفلسفة ، ولسنا بصدد نقد المناهج ، فقد استوفى القول في ذلك سيد قطب[5] وتبعه مؤيدا د. أحمد مطلوب

مهاد

في أوائل القرن العشرين نشأت حركة علمية تجديدية تهدف إلى تيسير العلوم ، بذل فيها الشيخ محمد عبده ما بوسعه لإحياء تراث السلف ، فكان الأزهر أول معهد من معاهد التعليم قرئ فيه دلائل الاعجاز وأسرار البلاغة ؛ لتستعيد البلاغة العربية دورها الذي ابتدأه الجرجاني [6]، بيد أنها رجعت إلى الملخصات بعد وفاته ، ثم عمد ثلة من العلماء إلى تحويل المتون إلى كتب ميسَرة ، ضرب من التيسير على المتلقي المعاصر ، وأوضح مثال على ذلك : (جواهر البلاغة) للسيد

[1] أسرار البلاغة للجرجاني 121
[2] السابق 121

[4] ينظر النقد الادبي سيد قطب 116
[5] مناهج بلاغية أحمد مطلوب 210
[6] النسق القرآني محمد ديب الباجي 182

DOI: https://doi.org/10.33193/IJoHSS.58.2024.710

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (58) يونيو 2024
Volume (58) June 2024
IJOHSS

أحمد الهاشمي الذي قدم في كتابه ملخصاً في قواعد وتمثلات البلاغة من كتابي الجرجاني (دلائل الاعجاز وأسرار البلاغة) يقول في مقدمته (فإن العلوم أرفع المطالب ، وأنفع المآرب أجلها شأناً وأبينها تبياناً ... ولاشتغالي بالمدارس الثانوية ، كانت البواعث داعية إلى تأليف (جواهر البلاغة)جامعاً للمهمات من القواعد والتطبيقات)[1]

وكذلك كتاب (البلاغة الواضحة) لعلي الجارم ومصطفى أمين الذي جاء في مطلعه (... فهذا كتاب وضعناه في البلاغة ، واتجهنا فيه كثيراً إلى الأدب ، رجاء أن يتجلى الطلاب فيه محاسن العربية ... وأملنا أن يكون لعملنا هذا شأن في إحياء الأدب ، وتوجيه أذهان المعلمين والطلاب هذه الطريقة التي ابتكرناها في دراسة البلاغة)[2] ومثل هذه المؤلفات التي كتب لها القبول (علوم البلاغة) للمراغي (البلاغة والتطبيق) و (معجم علوم البلاغة)د . أحمد مطلوب .

إن القصد من هذا العرض المختصر للعلاقة بين القديم والحديث أنك حين تقارن بين الاتجاهين في الاستعارة العنادية التهكمية لا تجد إلا شاهدين من القرآن الكريم ؛ بينما توهم بعضهم أنهما من علاقات المجاز المرسل وسمى العلاقة ب (اطلاق أحد الضدين على الأخر)بدعوى أنها مباحث أصولية [3] ؛ وليس كذلك : فالبشارة لا تدل على العذاب إلا على سبيل الاستعارة العنادية (والبشارة هنا قصد بها التهكم ، فالمعنى أنذرهم بعذاب أليم ؛ لأن العذاب لا يبشر به ، فاستعير التبشير للإنذار بعد أن نزل التضاد منزلة التناسب تهكماً)[4] بينما يشترط بالمجاز المرسل (علاقة بين ما استعمل فيه وما وضع له)[5]غير المشابهة .والآيتان هما :

1 قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٢١ ﴾ آل عمران: ١٢

2- قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرٗاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٧ ﴾ لقمان: ٧

ولأهمية هذا النوع من الخطاب بحثت في القران الكريم عن شوهد أخرى ، غير التي ذكرتها كتب البلاغة – القديمة والحديثة – بقصد الاتساع في الاستشهاد وتجاوز المكرور . واثبات ما لهذا النوع من الخطاب من أهمية ثم وزعت النصوص القرآنية بحسب قصديتها ومجال اهتمامها فوجدتها تدور (نفسياً) حول الرعاية سواء أكانت في الطفولة أم بعد الحلم : أما الطفولة فمن البديهي أن قرين (الأم) الرعاية والحنان وقبيل (المهد)السكينة والهدوء وواجب (المولى) ايفاء حق الرعية وخلاف ذلك لايسع المنطق جمعه إلا على سبيل الاعجاز . وقد تحقق العناد في النصوص الآتية :

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ٩ ﴾ القارعة: ٩

و قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٞ وَمِن فَوۡقِهِمۡ غَوَاشٖۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ٤١ ﴾ ١٤

و قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُؤۡخَذُ مِنكُمۡ فِدۡيَةٞ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ مَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُۖ هِيَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٥ ﴾ الحديد: ١٥

[1] جواهر البلاغة السيد أحمد الهاشمي المقدمة
[2] البلاغة الواضحة علي الجارم / مصطفى أمين المقدمة
[3] ينظر : المباحث البلاغية عند الأصوليين / عقيد العزاوي 118
[4] القرآن والصورة البيانية عبد القادر حسين 189
[5] الايضاح في علوم البلاغة الخطيب القزويني 254

DOI: https://doi.org/10.33193/IJoHSS.58.2024.710

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (58) يونيو 2024
Volume (58) June 2024
IJOHSS

فلا يمكن أن نجمع بين طرفي الاستعارة التصريحية [1] العنادية التهكمية على وجه الحقيقة ؛ فلا يجمع بين الأم والنار ، فالأم للرحمة والنار للعذاب ، ولا يجمع بين المهاد وجهنم لذات السبب ، وكذلك بين المولى والنار ، فإذا كانت هذه الألفاظ مظنة الرعاية والرحمة يحيق بها سياق العذاب ، فلا أمل للكافرين ولا مجال للمعاندين .

وأما الحلم ؛ فلا شك أنه يفضي إلى الحكمة التي من شأنها أن ترشد صاحبها إلى الهداية ؛ ليسلك (الصراط المستقيم) والحماية ، فلا يؤذي عاقل نفسه ، ولا يمكن الجمع بين الهداية والتيه والحماية والأذى إلا في البيان الأعلى على سبيل العناد التهكمي :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقٗا ٢٩ ﴾ الكهف: ٩٢

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ ٢٣ ﴾ الصافات: ٣٢

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَظِلّٖ مِّن يَحۡمُومٖ ٤٣ ﴾ الواقعة: ٣٤

القسم الأول من الرعاية (الطفولة)

أولا : الأم

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ٩ ﴾ القارعة: ٩

قبل التحليل البلاغي للعناد التهكمي في النص الشريف ، أشير إلى أن البيان الأعلى [2] خاطب العرب بما رسخ في طباعهم من مفاهيم ؛ والأم حين تذكر ينصرف ذهن المتلقي إلى صورة الطفولة يوم يفزع الطفل إلى أمه هذا ما ذكره الزجاج في معانيه (**وقيل (أُمُّهُ) لَمَسْكِنِه لأن الأصل في السكونِ إلى الأُمَّهاتِ فَأُبْدَلَ فِيمَا يَسْكُنُ إِلَيْه (نَارٌ حَامِيَةٌ)**[3].

وعندما تستعرض آراء المفسرين تجدهم يدورون حول هذه الصورة مع اختلافهم ؛ هل المشهد القرآني حقيقة أم مجاز ؟ وللإنصاف لابد من مناقشة الوجهين باقتضاب ، ولعل المتبصر يجده عند الماوردي، كما ذهب مذهبه من المعاصرين سيد طنطاوي في تفسيره **(فيه وجهان: أحدهما: أن الهاوية جهنم ، سماها أُمًّا له لأنه يأوي إليها كما يأوي إلى أُمّه ، قاله ابن زيد، ومنه قول أمية بن أبي الصلت.**

(فالأرضُ مَعْقِلُنا وكانتْ أُمّنا ... فيها مقابِرُنا وفيها نُولَدُ)

وسميت النار هاوية لأنه يهوي فيها مع بعد قعرها. الثاني: أنه أراد أُمّ رأسه يهوي عليها في نار جهنم ، قاله عكرمة. وقال الشاعر:

(يا عَمرُو لو نَالَتْكَ أَرْحامُنا ... كُنْتَ كَمن تَهْوِي به الهاوِيَة[4].)

---

[1] يرى علماء البلاغة أن العناد متأتي من التصريحية دون المكنية ، ولم أجد تعليلا مقنعا لذلك . يستطيع طالب العلم أن يجعل هذا العنوان مضمارا لبحث من الأهمية بمكان .

[2] أول من أطلق مصطلح البيان الأعلى عوضاً عن القرآن الكريم – بحسب ما اطلعت – هي بنت الشاطئ في كتابها التفسير البياني ، حتى أصبح هذا المصطلح مستساغاً (مقدمة الكتاب)

[3] معاني القرآن للزجاج 5/ 356

[4] التفسير الوسيط سيد طنطاوي 15 /490 وينظر : النكت والعيون الماوردي 6 / 329

DOI: https://doi.org/10.33193/IJoHSS.58.2024.710

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (58) يونيو 2024
Volume (58) June 2024
IJOHSS

ولا داعي لتكرار آراء المفسرين إلا ما كان فيه إضافة ، أو تلويح لمصطلح بلاغي ، أو توجيه جمالي مثل قول الفراء (**صارت مأواه، كما تؤوي المرأة ابنها، فجعلها إذ لا مأوى لَهُ غيرها)[1].كذلك الكافر والعياذ بالله لا مأوى له في النار إلا النار ، كما أن النار تحيط بالكافي كما تحيط الأم بطفلها وبأبسط تحليل معياري للتشكيل البلاغي في النص الكريم :**

النار للكافر يفزع منها إليها كالطفل الذي يفر من الفزع إلى أمه ، ومعلوم أن المشبه محذوف وبقي ما يدل عليه والمشبه به مصرح به ؛ فهي استعارة تصريحية بالنظر إلى طرفيها ، ولا يمكن أن تكون وفاقية ؛ إذ لا يمكن الجمع بين طرفيها على جهة الحقيقة ، وطرفاها (الأم والنار) فهي عنادية ، وتهكمية كما ذكر الفراء [2] ، والغريب أن الآلوسي يراه تشبيها ، ولا أجد مسوغاً لذلك ، فقد كتب تفسيره في عصر استقر فيه المصطلح البلاغي ، بقي لنا أن نحسن الظن في هذا المفسر الكبير ونحمه على ما كان أي : أن الاستعارة كانت تشبيها قبل حذف طرفها الأول ؛علماً أنه ذكر التهكم الذي يتأتى من العناد ثم افترض أن الصورة تشبيهية وعبر عن المأوى بالأم على التشبيه بها فالأم مفزع الولد ومأواه وفيه تهكم به.(وقيل: شبه النار بالأم في أنها تحيط به إحاطة رحم الولد بالأم[3]) .

إن المسرح الذهني للصورة التهكمية لها متممات رسخت الروع والرهبة من هول الموقف نستطيع أن نضعها في تصور المصطلحات البلاغية

1- التجريد [4] بعد التصوير فقوله (نار حامية) ملائمة للنار وليس للأم ، والتجريد من الصور النادرة في القرآن الكريم[5] ندرة تقارب المتناقضات يقول السكاكي (متى عقبت بصفات ملائمة للمستعار له أو تفريع كلام ملائم له) [6]

2- الاستفهام يتقدم العناد ؛ ليهيئ المتلقي نفسياً لهول الموقف (وما أدراك ما هي) **(فإنه تقرير لها بعد إبهامها والإشعار بخروجها عن المعهود للتفخيم والتهويل)[7]**

. وذكر أن إطلاق ذلك عليها لغاية عمقها وبعد مهواها[8]،

بقي لنا أن نذكر من حملها على الحقيقة ولماذا ؟

احتج بعضهم أنها محمولة على الحقيقة لما ذكره المبرد (أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لرجل: لا أم لك، فقال: يا رسول الله، أتدعوني إلى الهدى وتقول: لا أم لك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنما أردت لا نار لك، قال الله تعالى: فَأُمُّهُ هاوِيَةٌ.)[9]

ولي في هذا المقام وقفتان :

1- ما ذكرته في المهاد من تمظهر العناد التمليحي في السنة البوية الشريفة وأقوال الفقهاء ، وهذا شاهد عليه .

2- أحمل هذا التوجيه حمل المنقولات من النعت إلى العلمية ، كذلك بعض الاستعارات لكثرة استعمالها تنزل منزلة الحقيقة[10]

---

[1] معاني القرآن للفراء 3/ 287
[2] ينظر : السابق 3/ 287
[3] روح المعاني الآوسي 15 / 449
[4] التجريد : هو الكلمة الملائمة للمستعار له . ينظر مفتاح العلوم السكاكي 285
[5] كذلك التجريد وارد في قوله تعالى (فأذاقها الله لباس الجوع والخوف) ينظر : المباحث البلاغية في تفسير الشنقيطي / عقيد العزاوي 119
[6] السابق 119
[7] روح المعاني 15 / 449
[8] السابق 15/ 449
[9] المحرر الوجيز ابن عطية 5 / 517
[10] النكت والعيون 6 / 329

DOI: https://doi.org/10.33193/IJoHSS.58.2024.710

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (58) يونيو 2024
Volume (58) June 2024
IJOHSS

ثانياً : المهاد

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾﴾ الأعراف:١٤

بينت التفاسير– منطلقة من معجمات العربية – أن المهد هو فراش الطفولة الذي ما إن يذكر حتى يتبادر إلى النفس الشعور بالراحة ، بينما في هذا المقام يشكل ذكره صدمة نفسية – للكافرين – وهم يتأملون شيئاً من الانفراج بعد أن تحيط بهم جهنم . وخلق التناسب في موضع العناد شكل صورة استعارية تجتذب الانتباه ؛ لأن هذه المرة استعارتان عناديتان في موضع واحد ولها ما يقابلها من الفنون البلاغية ؛ لتصل إلى المتلقي بعذوبة وطلاوة ؛ بينما تدوي في أسماع الكافرين ، وهي تخرج الصورة من المجهول إلى المعلوم ، ومن الغائب إلى المخاطب ، وكل هذا التواثب يخلع على الخطاب جلال الوصف ويعظم المشهد لينفرد هذا النوع الخطابي عن غيره من أشكال الكلام .

مهاد الكافر جهنم ولحافه غواش ، والمهاد للراحة وجهنم للعذاب كذلك اللحاف والغواش لا يجتمعان إلا في العناد التهكمي يقول ابن عطية : (لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهادٌ الآية، المعنى أن جهنم فراش لهم ومسكن ومضجع يتمهدونه وهي لهم غواش جمع غاشية وهي ما يغشى الإنسان أي يغطيه ويستره من جهة فوق، قال الضحاك «المهاد» الفراش، و «الغواشي» اللحف[1])

وإذا سلمنا باتفاق المفسرين على المهاد ، فإن **(بالغواشي ثلاثة أقوال:**

أحدها:

اللحف، قاله ابن عباس، والقرظي، وابن زيد.

والثاني: ما يغشاهم من فوقهم من الدخان، قاله عكرمة.

والثالث: غاشية فوق غاشية من النار، قاله الزجاج [2]

والذي يعين عليه السياق أن الآراء الثلاثة بدلالة واحدة ؛ وهي محاصرة الكافر وتحويل مواضع الراحة إلى صورة الهلع والفزع ، يكثف دلالتها جمع (غاشية)

أي(يغشاهم النار من فوق رؤوسهم ومعناه: أن من تحتهم ناراً ومن فوقهم ناراً.

كقوله: لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ [الزمر: 16] [3].، وقد ناسب مجيء العناد التهكمي بصورتين متتابعتين للتعبير عن الكافرين بمرتين : وصفهم (بالمجرمين تارة وبالظالمين أخرى إشعاراً بأنهم بتكذيبهم الآيات اتصفوا بهذه الأوصاف الذميمة، وذكر الجرم مع الحرمان من الجنة والظلم مع التعذيب بالنار تنبيهاً على أنه أعظم الإجرام[4]).صفتان وجرمان وعنادان في سياق آسر للقلوب وحابس للأنفاس .

عوداً على البداية وتعضيداً للقناعة التي مفادها أن (العناد التهكمي في خطاب التنزيل) ضرب من العذاب النفسي في الدنيا قبل الآخرة ، يتعدى القرآن الكريم حدود الخطاب إلى النفس ومناخ الاتساع إلى الخيال وهو يحول الغيبيات إلى محسوسات بلون من (التجسيم)[5] ؛ لتتوجه النفس إليه وينحصر الحدث به ، فيصك بذلك أسماعاً لا تعي ، وآذاناً لا

---

[1] المحرر الوجيز 2 / 401
[2] زاد المسير ابن الجوزي 2 / 120
[3] بحر العلوم السمرقندي 1 / 515
[4] أنوار التنزيل البيضاوي 3 / 13
[5] التجسيم : هو تحول الأشياء من المعقولات إلى المحسوسات . ينظر الأسلوب وفاعلية السياق منير عبده 80

DOI: https://doi.org/10.33193/IJoHSS.58.2024.710

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (58) يونيو 2024
Volume (58) June 2024
IJOHSS

تصغي ، وليس هذا إلا مظهراً فريداً للخطاب النفسي الذي ينماز به القرآن الكريم (ولعل القرآن الكريم يريد بذلك أن يفجر روافد بلاغية جديدة ذات إطار تجريبي في محاكات غير المحسوس للمحسوس ، ومماثلة الادراك في غير المدرك كما هو في المدركات ، لأن في ذلك انتقالاً في الصورة إلى داخل النفوس وواقع في النفس المعتبرة)[1] بما يضيفه العناد التهكمي . وخير تمثيل للأثر الخطابي ما أخرج ابْن مرْدَوَيْه عَن عَائِشَة أَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم تَلا هَذِه الْآيَة {لَهُم من جَهَنَّم مهاد وَمن فَوْقهم غواش} قَالَ:(هِيَ طَبَقَات من فَوْقه وطبقات من تَحْتَهُ لَا يدْرِي مَا فَوْقه أَكثر أَو ماتحته غير أَنه ترفعه الطَّبَقَات السُّفْلى وتضعه الطَّبَقَات الْعليا ويضيق فِيمَا بَينهمَا حَتَّى يكون بِمَنْزِلَة الزج فِي الْقدح) [2] ليصبح جلياً كناية الصفة التي رافقت الاستعارة العنادية ؛ لتسهم في محاصرة الكافرين

(كناية عن محاصرة الكافر) ومن جميل ما أختم به التحليل البلاغي عن هذه الآية الكريمة أن المهاد يكون من تحت والغواش تكون من فوق وهاتان جهتان فحسب ؛ بينما تحيق النار بالكافرين من جميع جهاتهم يقول الحق سبحانه وتعالى: {لَهُمْ مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النار وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ... } [الزمر: 16]

إذن الظلل والغواشي تغطي جهتين في التكوين البعدي للإنسان، والأبعاد ستة وهي: الأمام والخلف، واليمين والشمال، والفوق والتحت، والمهاد يشير إلى التحتية، والغواشي تشير إلى الفوقية، وكذلك الظلل من النار، ولكن الحق شاء أن يجعل جهنم تحيط بأبعاد الكافر الستة[3] فيقول سبحانه: {إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ... } [الكهف: 29]

وفي هذه الآية أشكالاً من العناد التهكمي سأقف عليها بالتفصيل بإذن الله تعالى .

ثالثاً : المولى

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾ الحديد: ٥١

بالتتبع لسياقات القرآن الكريم تستطيع أن تهتدي للتوظيف الدلالي لكلمة (مولى) بصرف النظر عن المعجمات وكتب علم اللغة التي قد تدخلك في خلاف الأضداد ، فالمولى هو الناصر والراعي والمعين ، وإليك جملة من الخطابات القرآنية :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾﴾ الأنفال: ٤٠

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿...فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ ۖ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾ الحج: ٧٨

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾﴾ محمد: ١١

الذي يهمني في هذا المضمار مستعيناً بمساحة من التطبيق ؛ هو العناد التهكمي المتمثل بتشكيل استعاري فريد ونسق خطابي أكيد بموضعين :

1- النار مأوى

2- النار مولى

[1] مجاز القرآن محمد حسين علي الصغير 96
[2] الدر المنثور السيوطي 3 / 357
[3] تفسير الشعراوي 7 / 4137

DOI: https://doi.org/10.33193/IJoHSS.58.2024.710

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (58) يونيو 2024
Volume (58) June 2024
IJOHSS

والمأوى سكن الانسان ، والمولى نصرته ، فالمنافق والكافر إذا فر من النار ليستريح فالنار مأواه ، وإذا بحث عن ناصر فالنار مولاه ، وقد أكد هذا التصور ابن عطية عندما قال : (استعارة، لأنها من حيث تضمنهم وتباشرهم هي تواليهم وتكون لهم مكان المولى[1]) ثم زاد ابن عاشور بتفصيل الاستعارة وأشار إلى العناد التهكمي بقوله :

(وَالْمَأْوَى: الْمَكَانُ الَّذِي يُؤْوَى إِلَيْهِ، أَيْ يُصَارُ إِلَيْهِ وَيُرْجَعُ، وَكُنِّيَ بِهِ عَنِ الِاسْتِمْرَارِ وَالْخُلُودِ.

وَأَكَّدَ ذَلِكَ بِالصَّرِيحِ بِجُمْلَةِ مَأْواكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلاكُمْ! أَيْ تَرْجِعُونَ إِلَيْهَا كَمَا يَرْجِعُ الْمُسْتَنْصِرُ إِلَى مَوْلَاهُ لِيَنْصُرَهُ أَوْ يُفَادِي عَنْهُ، فَاسْتُعِيرَ الْمَوْلَى لِلْمَقَرِّ عَلَى طَرِيقَةِ التَّهَكُّمِ)[2]. والجدير بالذكر أن الصورتين العناديتين يحيطهما سياق من الاهانات والتنكيل للمنافقين بطريقة المذهب الكلامي فلن

يقبل منهم فدية يفتدون بها أنفسهم من هذا العذاب.. تماما كما لا يقبل من الكافرين فدية.. وفي عدم قبول فديتهم عدم قبولهم وعليه فالنار مأواهم ومولاهم وقوله تعالى: «مَأْواكُمُ النَّارُ» تأكيد لقوله تعالى: «لا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ» .. فالفدية إنما هي فدية من النار، وإذا لم تقبل الفدية فليس إلا النار..

وقوله تعالى: «هِيَ مَوْلاكُمْ» .. هى الولىّ الذي يضمكم إليه[3]،

ولعل من أسرار التشكيل الاستعاري الذي جاء بصورتين عناديتين على سبيل التهكم ، هو أن الشر يأتيهم من جهتين : المأوى والمولى .

فقد يكون المأوى سيئاَ غير أن المولى حسن وقد يكون العكس ، أما المنافقون فالنار مولاهم ومأواهم[4] . فلا رعاية من المولى ، ولا سكينة في المأوى ، ويسلم القارئ الكريم لهذا النسق القرآني الفريد ، فلم يخرج في تصويره عن أدوات العربي ، ولم يتجاوز في تعبيره حروف المعجم العربي ؛ ولكن الخطاب القرآني تجاوز مقدور البشر ، فالفرق شاسع بين تعبير صادر من نفس بشرية يعتريها القصور وبين تعبير صادر من إله حكيم عليم ، أحاط بكل شيء خبرا [5]، وحسبها من صورة ألفت بين أطراف المتناقضات ، وجمعت بين المتعاندات وكأنها تفردت بعقد الجمان ومحاسن البيان .

القسم الثاني من الرعاية (الحلم)

أولاً : الهداية

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ ٢٣﴾ الصافات: ٢٣

الهداية فطرية كما جاء في الحديث الشريف (كل مولود يولد على الفطرة ...) [6]ومن حق المولود على والديه حمايته وهدايته إلى الصراط المستقيم حتى إذا بلغ الحلم أصبح مكلفاَ بالعبادات ، فالهداية مقترنة بالتوجيه الصحيح والطريق المستقيم ؛ بينما وردت في سياق البيان الأعلى مع الجحيم تهكماَ أي سوقوهم [7] و عرِّفُوهم طريقها ووجِّهوهم إليها وفيه أعلى

[1] المحرر الوجيز 5 / 264
[2] التحرير والتنوير ابن عاشور (27/ 389)
[3] ينظر : التفسير القرآني للقرآن عبد الكريم الخطيب (14/ 763)
[4] ينظر على طريق التفسير البياني فاضل السامرائي 1 / 262
[5] الصورة الأدبية في القرآن الكريم صلاح الدين عبد التواب 242
[6] صحيح البخاري كتاب الجنائز 1358
[7] تفسير الجلالين السيوطي (ص: 589)

DOI: https://doi.org/10.33193/IJoHSS.58.2024.710

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (58) يونيو 2024
Volume (58) June 2024
IJOHSS

أعلى درجات الاستهزاء [1] ، وقد ذكر ابن عاشور تحليلاً بلاغياً لهذا النوع من العناد انطلاقاً من أصل الوضع اللغوي للهداية مروراً بالتشكل الاستعاري

(وَالْهِدَايَةُ وَالْهَدْيُ: الدَّلَالَةُ عَلَى الطَّرِيقِ لِمَنْ لَا يَعْرِفُهُ، فَهِيَ إِرْشَادٌ إِلَى مَرْغُوبٍ وَقَدْ غَلَبَتْ فِي ذَلِكَ، لِأَنَّ كَوْنَ الْمَهْدِيِّ رَاغِبًا فِي مَعْرِفَةِ الطَّرِيقِ مِنْ لَوَازِمِ فِعْلِ الْهِدَايَةِ وَلِذَلِكَ تُقَابَلُ بِالضَّلَالَةِ وَهِيَ الْحَيْرَةُ فِي الطَّرِيقِ، فَذكر فَاهْدُوهُمْ هُنَا تَهَكُّمٌ بِالْمُشْرِكِينَ، كَقَوْلِ عَمْرِو بْنِ كُلْثُومٍ: من الوافر

قَرَيْنَاكُمْ فَعَجَّلْنَا قِرَاكُمْ ... قُبَيْلَ الصُّبْحِ مِرَادَّةَ طَحُونَا) [2]

وقد ذكر المراغي أن هذا النوع من البيان ناسب إنكارهم للبعث في الدنيا وشديد إصرارهم على عدم حدوثه (ولما كانوا قد سلكوا في الدنيا طريق الشقاء المعنوية استحقوا أن يلزموا في القيامة سلوك طريقه الحسية، فلذلك سبب عن الأمر بحشرهم قوله تهكماً بهم وتحسيراً لهم: {فاهدوهم} أي دلوهم دلالة لا يرتابون معها ليعرفوا – مع ما هم فيه من الإكراه على سلوكها – مآلهم، فيكون ذلك أعظم في نكدهم) [3]

إن عرض المشهد على المستوى السردي يوضحه حرف الجر (إلى) الذي يبين طول الطريق ومشقته وصعابه ليجد (الذين ظلموا) انتهاء الغاية التي دل عليها حرف الجر (الجحيم) ليصور لنا القرآن الكرم مشهداً مروعاً مكانه (الجحيم) وزمانه (الآخرة) وشخوصه (الذين ظلموا) مشهد متكامل يعرض على مسرح الذهن البشري أداته العناد التهكمي .

ثانياً : الحماية

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَظِلّٖ مِّن يَحۡمُومٖ ﴿٤٣﴾﴾ الواقعة: ٣٤

الظل يحمي المستظل من الحر ومن السموم ، فإذا كان الظل لا بارد ولا كريم ؛ فهو ظل زائف يوهم أهل النار أو يوقع بهم . وبالتتبع لموارد ذكر الظل في القرآن الكريم وفي سياق المقابلة بين ظل أهل الجنة ، وظل أهل النار تجد أن صورة أهل الجنة حقيقة ، وصورة أهل النار مجازية علاقتها المشابهة وسبيلها التهكم ، ثم يتبع الصورتين صفات تختلف من موضع إلى آخر:

أهل الجنة جاءت صفاتهم على سبيل التكميل : وهو ما يضاف في الكلام من الصفات على الأصل بقصد تكميل البيان [4] مثل قوله تَعَالَى : وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا وَصَفَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ ظِلَّ الْجَنَّةِ بِأَنَّهُ ظَلِيلٌ، وَوَصَفَهُ فِي آيَةٍ أُخْرَى بِأَنَّهُ دَائِمٌ، وَهِيَ قَوْلُهُ: أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا ، وَوَصَفَهُ فِي آيَةٍ أُخْرَى بِأَنَّهُ مَمْدُودٌ، وَهِيَ قَوْلُهُ: وَظِلٍّ مَمْدُودٍ ، وَبَيَّنَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ أَنَّهَا ظِلَالٌ مُتَعَدِّدَةٌ، وَهُوَ قَوْلُهُ: إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ الْآيَةَ وَذَكَرَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ أَنَّهُمْ فِي تِلْكَ الظِّلَالِ مُتَّكِئُونَ مَعَ أَزْوَاجِهِمْ عَلَى الْأَرَائِكِ وَهُوَ قَوْلُهُ: هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ [5] ، وَالْأَرَائِكُ: جَمْعُ أَرِيكَةٍ وَهِيَ السَّرِيرُ فِي

إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبي السعود (7/ 188) وينظر روح البيان (7/ 453)

[1] ينظر : تفسير المراغي أحمد المراغي (23/ 49)

[2] التحرير والتنوير (23/ 102)

[3] نظم الدرر السيوطي 16 / 209

[4] ينظر : البحث البلاغي عند الأصوليين 96

[5] ينظر :النساء 57 الرعد 35 الواقعة 30 المرسلات 41

DOI: https://doi.org/10.33193/IJoHSS.58.2024.710

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (58) يونيو 2024
Volume (58) June 2024
IJOHSS

الْحَجَلَةِ، وَالْحَجَلَةُ بَيْتٌ يُزَيَّنُ لِلْعَرُوسِ بِجَمِيعِ أَنْوَاعِ الزِّينَةِ،[1] . فكل هذه الآيات التي ورد فيها الظل تبعتها صفات على سبيل التكميل وتثبت أن الظل يورث الراحة والسكينة . أما مجيء الظل في سياق أهل النار فهو على سبيل التهكم .

أهل النار : كذلك في سياق أهل النار جاء بعد الظل جملة صفات ؛ ولكن على سبيل التتميم : وهو أن تردف الكلام بصفات ترفع اللبس [2]

فظِلَّ أَهْلِ النَّارِ لَيْسَ كَذَلِكَ بِقَوْلِهِ:(انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ)[3] ، وَقَوْلِهِ:(وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ)

في سياق أهل النار أبقى على الظل تهكماً بالكفار ونزع منه صفات الحماية (لا بارد ولا كريم) وقد أكد هذا المفاد صاحب الكشاف بقوله (نفى لصفتى الظل عنه، يريد: أنه ظل، ولكن لا كسائر الظلال: سماه ظلا، ثم نفى عنه برد الظل وروحه ونفعه لمن يأوي إليه من أذى الحر وذلك كرمه ليمحق ما في مدلول الظل من الاسترواح إليه. والمعنى أنه ظل حارّ ضارّ إلا أنّ للنفي في نحو هذا شأنا ليس للإثبات. وفيه تهكم بأصحاب الشأمة، وأنهم لا يستأهلون الظل البارد الكريم الذي هو لأضدادهم في الجنة)[4]

وَلِتَحْقِيقِ مَعْنَى التَّهَكُّمِ الذي ربما أجمع عليه المفسرون وُصِفَ هَذَا الظِّلُّ بِمَا يُفِيدُ نَفْيَ الْبَرْدِ عَنْهُ وَنَفْيَ الْكَرَمِ، فَبَرْدُ الظِّلِّ مَا يَحْصُلُ فِي مَكَانِهِ مِنْ دَفْعِ حَرَارَةِ الشَّمْسِ، وَكَرَمُ الظِّلِّ مَا فِيهِ مِنَ الصِّفَاتِ الْحَسَنَةِ فِي الظِّلَالِ مِثْلَ سَلَامَتِهِ مِنْ هُبُوبِ السَّمُومِ عَلَيْهِ [5].

وثمة نص آخر في هذا السياق يشتمل على عناد تهكمي بدوره يرسخ لدينا القناعة أن غالب العناد التهكمي في خطاب التنزيل جاء مثنى ؛ والقصد من ذلك النسق التراكمي ؛ اقناع المتلقي بالصور المتفردة التي تنزل أطرافها المتعاندة منزلة التناسب ، وربما تفرد الصابوني من المفسرين المعاصرين – بحسب ما اطلعت – بهذا الاستدلال ؛ إذ يقول : {هذا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدين} أي هذه ضيافتهم وكرامتهم يوم القيامة، وفيه تهكم بهم قال الصاوي: والنُّزُل في الأصل ما يهيأ للضيف أول قدومه من التحف والكرامة، فتسمية الزقوم نُزلاً تهكم بهم)[6]. أما الآلوسي فيراه تشبيها تهكمياً يقول : (وتسميته ظلّا على التشبيه التهكمي)[7]؛ وليس كذلك إلا إذا كان قصده علاقة المشابهة ؛ فهي مجاز لغوي مرده إلى التشبيه بلا خلاف .

وفي هذا السياق لابدَ من التوقف عند سورة الكهف ، وفيها سيل من المتعاندات التهكمية ، فقد اعتدنا على (المثنى) من التشكيل في سياق واحد بينما تجاوزت هذه المرة إلى أكثر من ذلك :

وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقٗا ٢٩ الكهف: ٢٩

أجتزئ من الآية الكريمة العناد التهكمي المتساوق على مدار النص :

1- أعتدنا للظالمين

---

[1] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي 1 / 244)
[2] ويسميه بعضهم (الاحتراس) ينظر : جواهر البلاغة السيد أحمد الهاشمي 201
[3] المرسلات 30
[4] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري 4/ 463
[5] التحرير والتنوير 27/ 304)
[6] صفوة التفاسير محمد علي الصابوني 3/ 293
[7] روح المعاني 14/ 143

DOI: https://doi.org/10.33193/IJoHSS.58.2024.710

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (58) يونيو 2024
Volume (58) June 2024
IJOHSS

2- ناراً أحاط بهم سرادقها

3- يغاثوا بماء

هذه المرة الأولى التي يتعدى فيها سياق التهكم إلى هذا الحشد من التشكيل العنادي . وأستطيع أن أبسط القول في التحليل البلاغي بشيء من الاقتضاب

1- (الاعتداد) تهيأة للضيافة ؛ بينما النار هي سجن للكافر لا ضيافة فيها فاستعير الاعتداد للكافرين على سبيل التهكم قال ابن الجوزي قوله تعالى: إِنَّا أَعْتَدْنا أي: هيَّأنا وأعددنا)[1] ، واستدل بقوله تعالى : (وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً)[2] ولا يصح الجمع بين طرفي الاستعارة فإكرام الضيف لا يجتمع مع أهل النار إلا على سبيل التناسب بين الأضداد

2- (السرادق) ليس ثمة متسع للبحث في أصول المفردات المعربة وغيرها ؛ لأن ميدان البحث هو التحليل البلاغي فحسب .

أستعير السرادق الذي من شأنه أن يحمي من يستظل به إلى إحاطة النار بالكافرين التي مهمتها أن تحبس الكافرين ، والجمع بين الطرفين في منزلة التناسب العنادي للتهكم . وقد وجه بعض المعاصرين هذا الحدث البلاغة باتجاهات مختلفة منها :

أ - (تشبيه مؤكد) وهذا رأي محيي الدين درويش

في قوله تعالى (إنا اعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها» فقد شبه النار المحيطة بهم بالسرادق المضروب على من يحتويهم وأضيف السرادق الى النار فذلك هو التشبيه المؤكد وهو أن يضاف المشبه الى المشبه به كقول بعضهم:

والريح تعبث بالغصون وقد جرى ... ذهب الأصيل على لجين الماء

فقد أضاف الأصيل وهو المشبه الى الذهب وهو المشبه به كما أضاف الماء الذي هو المشبه الى اللجين الذي هو المشبه به وقد رمقه شوقي فقال في وصف دمشق:

دخلتها وحواشيها زمردة ... والشمس فوق لجين الماء عقيان

والمراد بالتشبيه المؤكد قوله لجين الماء أما حواشيها زمردة والشمس عقيان فهو من التشبيه البليغ المضمر الأداة)[3] ؛ ربما تبع في هذا التوجه المراغي في تفسيره إذ يقول : (لفظ فارسى معرّب يزاد به الفسطاط (الخيمة) شبه به ما يحيط بهم من لهب النار المنتشر منها فى سائر الجهات)[4]،

والصواب أنها استعارة ؛ لأن المشبه هو احاطة النار وليس النار ، وتقدير الكلام (احاطة النار بالكافرين لعذابهم مثل احاطة السراق بالناس لحمايتهم) وحذف الطرف الأول وهو (الاحاطة) وصرح بالطرف الثاني (السرادق) ؛ فهي استعارة تصريحية . كما لا يمكن الجمع بين الطرفين فالأول للسجن والثاني للحماية ، فكان التناسب بين الطرفين تهكما ،

ب (استعارة مكنية)

لوَح ابن عاشور على انها استعارة تهكمية ولكن الغريب في تحليله أن يعدها مكنية ، ومعلوم أن العناد متأت من التصريح . يقول (وَالسُّرَادِقُ: هُنَا تَخْيِيلٌ لِاسْتِعَارَةٍ مَكْنِيَّةٍ بِتَشْبِيهِ النَّارِ بِالدَّارِ، وَأُثْبِتَ لَهَا سُرَادِقُ مُبَالَغَةً فِي إِحَاطَةِ دَارِ الْعَذَابِ بِهِمْ،

[1] زاد المسير 3/ 80
[2] سورة يوسف 31
[3] اعراب القرآن وبيانه محمد محيي الدين درويش 5 / 590
[4] تفسير المراغي (15/ 141)

DOI: https://doi.org/10.33193/IJoHSS.58.2024.710

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (58) يونيو 2024
Volume (58) June 2024
IJOHSS

وَشَأْنُ السَّرَادِقِ يَكُونُ فِي بُيُوتِ أَهْلِ التَّرَفِ، فَإِثْبَاتُهُ لِدَارِ الْعَذَابِ اسْتِعَارَةٌ تَهَكُّمِيَّةٌ)[1]. والنار ليس مشبهاَ ، فقد تكون على جهة من الجهات ؛ إنما احاطتها هي مدار الحوار وبيت القصيد ، والصواب ما ذهبنا إليه والله تعالى أعلم .

3- (الإغاثة)

وَالِاسْتِغَاثَةُ: طَلَبُ الْغَوْثِ وَهُوَ الْإِنْقَاذُ مِنْ شَدَّةٍ وَبِتَخْفِيفِ الْأَلَمِ. وَشَمِلَ يَسْتَغِيثُوا الِاسْتِغَاثَةَ مِنْ حَرِّ النَّارِ يَطْلُبُونَ شَيْئًا يُبْرِدُ عَلَيْهِمْ، بِأَنْ يَصُبُّوا عَلَى وُجُوهِهِمْ مَاءً مَثَلًا، وَالِاسْتِغَاثَةُ مِنْ شِدَّةِ الْعَطَشِ النَّاشِئِ عَنِ الْحَرِّ فَيَسْأَلُونَ الشَّرَابَ. وَقَدْ أَوْمَأَ إِلَى شُمُولِ الْأَمْرَيْنِ ذِكْرُ وَصْفَيْنِ لِهَذَا الْمَاءِ بِقَوْلِهِ: يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرابُ. وهي مُسْتَعَارَةٌ لِلزِّيَادَةِ مِمَّا اسْتُغِيثَ مِنْ أَجْلِهِ عَلَى سَبِيلِ التَّهَكُّمِ[2]، وهذ الأسلوب تعرفه العرب وقد وجدته في قول عنترة من (الوافر)

وسيفي كان في الهيجا طبيب يداوي رأس من يشكو الصداعا

والفرق بين الاستعارتين أنها عنادية تمليحية ؛ بينما الاغاثة في البيان الأعلى عنادية تهكمية . وقد مثل الشنقيطي لهذا العناد مؤكداً أنه اسلوب لا تستغربه العرب (فَإِنْ قِيلَ: أَيُّ إِغَاثَةٍ فِي مَاءٍ كَالْمُهْلِ مَعَ أَنَّهُ مِنْ أَشَدِّ الْعَذَابِ، وَكَيْفَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ . فالْجَوَابُ أَنَّ هَذَا مِنْ أَسَالِيبِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الَّتِي نَزَلَ بِهَا الْقُرْآنُ. وَنَظِيرُهُ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ قَوْلُ بِشْرِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ:

غَضِبَتْ تَمِيمٌ أَنْ تُقَتَّلَ عَامِرٌ ... يَوْمَ النِّسَارِ فَأُعْتِبُوا بِالصَّيْلَمِ

فَمَعْنَى قَوْلِهِ «أُعْتِبُوا بِالصَّيْلَمِ» : أَيْ: أُرْضُوا بِالسَّيْفِ. يَعْنِي لَيْسَ لَهُمْ مِنَّا إِرْضَاءً إِلَّا بِالسَّيْفِ. وَقَوْلُ عَمْرِو بْنِ مَعْدِي كَرِبَ:

وَخَيْلٌ قَدْ دَلَفْتُ لَهَا بِخَيْلٍ ... تَحِيَّةُ بَيْنِهِمْ ضَرْبٌ وَجِيعُ) [3]

وقد علل الشعراوي في تفسيره أسلوب التهكم بالخروج في الخطاب على مقتضى حال المخاطب ، ومثل بأسلوب تعليمي (إذن: فقوله تعالى: {وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كالمهل. .} [الكهف: 29] تهكّم بهم، لأن الكلام فيه خرج عن مقتضى الحال، كما يقول الوالد لولده الذي أخفق في الامتحان: مبارك عليك السقوط فإنْ أخرجتَ المقتضى عن الحال الذي يطلبه، فهذا ينافي البلاغة إلا إنْ أردتَ التهكُّمَ أو الاستهزاء) [4] أما في قوله تعالى (ساءت مرتفقاَ) فثمة من يرى أنها مشاكلة منهم درويش : (وذلك في قوله «وساءت مرتفقا) [5] فقد ذكر الارتفاق مشاكلة لقوله فيما بعد في وصف أهل الجنة «وحسنت مرتفقا» والذي أميل إليه أنها استعارة عنادية ، فلا ارتفاق لأهل النار إلا على سبيل التهكم .

الخاتمة

أفضت القراءة التحليلية للنصوص القرآنية التي يتمظهر بها ملمح العناد التهكمي جملة معطيات أخلص إلى أهمها بما هو آت :

1- مواطن العناد التهكمي في خطاب التنزيل مادتها (الكفار والمنافقون) وحدودها الحساب ومشاهدها يوم القيامة ومقاصدها العذاب .

[1] التحرير والتنوير 15 / 308
[2] ينظر السابق 15 / 308
[3] أضواء البيان 3 / 269
[4] تفسير الشعراوي تفسير الشعراوي (14/ 8886)

[5] إعراب القرآن وبيانه (5/ 590)

DOI: https://doi.org/10.33193/IJoHSS.58.2024.710

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (58) يونيو 2024
Volume (58) June 2024
IJOHSS

2- لا يوجد تمليح في القرآن الكريم ؛ مراعاة لمقتضى الحال ، وعدم مناسبة المقام ؛ إنما عناد تهكمي فحسب .

3- غالب العناد ورد مثنى ، والقصد من النسق التراكمي ؛ خلق آلة ضاغطة على ذهن المتلقي ؛ ليسع المتعاندات فهمه ، وقصدية العذاب ادراكه .

4- ترسخت لدي القناعة التي مفادها : أن العناد يتأتى من الاستعارة التصريحية دون المكنية ، وبرغم من عدم وجود مسوغ علمي ولكن البحث أكد ذلك ؛ إذ لا يوجد في مساحة التطبيق الآنفة إلا من قبيل التصريح .

5- تشكلت الصورة العنادية في سياق المقابلة بين بين أهل الجنة وأهل النار والفائدة الجمالية من ذلك ؛ هي سهولة التفريق بين الحقيقة والمجاز ، ولا تخلو من القاء الحجة على المتلقي ، ناهيك عن الترغيب والترهيب .

المصادر والمراجع

القران الكريم

1. ارشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، أبو السعود العمادي ت982ه ، دار احياء التراث العربي- بيروت
2. أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ، دار المعرفة – بيروت ط1 2002 م
3. أضواء البيان في اضاح القرآن بالقرآن ، محمد الأمين الشنقيطي ت 1393ه ، دار الفكر للطباعة والنشر – بيروت 1995م
4. اعراب القران وبيانه ، محيي الدين درويش دار اليمامة (بيروت)– دار ابن كثير (دمشق) ط4، 1415 ه
5. أنوار التنزيل ، البيضاوي ت 685ه ، تح : محمد المرعشلي ،دار احياء التراث – بيروت ط1 1412 ه
6. الايضاح في علوم البلاغة ، الخطيب القزويني ، دار احياء العلوم – بيروت ط1 1988م
7. البحث البلاغي عند الأصوليين ، عقيد العزاوي ، دار العصماء – دمشق ، ط1 2011م
8. بحر العلوم ،أبو الليث نصر بن محمد السمرقندي ت 373ه ،
9. البلاغة الواضحة ، علي الجارم – مصطفى أمين ، دار المعارف – مصر
10. التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن عاشور ت 1393ه ،الدار التونسية للنشر – تونس 1984 ه
11. التفسير البياني للقران الكريم، عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، دار المعارف-القاهرة، ط8 .
12. تفسير الجلالين ، جلال الدين السيوطي ت 911ه ،دار الحديث- القاهرة ط1
13. تفسير الخواطر ، محمد متولي الشعراوي ت 1418 ، مطابع أخبار اليوم – القاهرة
14. التفسير القرآني للقرآن ، عبد الكريم الخطيب ت 1390 ه ، دار الفكر العربي- القاهرة
15. تفسير المراغي ، أحمد بن مصطفى المراغي ت 1371 ه ، مكتبة مصطفى البابي وأولاده ط1 1946 ه
16. التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، محمد سيد طنطاوي ،دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة ط1 1997م
17. جواهر البلاغة ، السيد أحمد الهاشمي ، مؤسسة الصادق – طهران ط2 1383 م
18. الدر المنثور ، جلال الدين السيوطي ت911ه ، دار الفكر – بيروت
19. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني ، شهاب الدين الآلوسي 1270ه ، تح : علي عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية – بيروت ط1 1451 ه
20. زاد المسير ، ابن الجوزي ت 597 ه ، تح: عبد الرزاق المهدي ، دار الكتاب العربي – بيروت ط1 ، 1422ه
21. صحيح البخاري ، محمد بن اسماعيل البخاري تح: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار طوق النجاة ، ط1 1422ه
22. صفوة التفاسير ، محمد علي الصابوني ، دار الصابوني – القاهرة ط1 1997 م
23. الصورة الأدبية في القرآن الكريم ، صلاح الدين عبد التواب ، الشركة المصرية العالمية للنشر - القاهرة – ط1 1995
24. على طريق التفسير البياني ، فاضل صالح السامرائي ، مركز البحوث والدراسات – الشارقة 2005

DOI: https://doi.org/10.33193/IJoHSS.58.2024.710

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (58) يونيو 2024
Volume (58) June 2024
IJOHSS

25. القرآن والصورة البانية ، عبد القادر حسين ، دار غريب – القاهرة ، ط1 2010م
26. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، جار الله الزمخشري ت 538ه ، دار الكتاب العربي – بيروت ط3 1407 ه
27. المباحث البلاغية في تفسير الشنقيطي ، عقيد العزاوي ، دار العصماء – دمشق – ط1 ، 2011
28. مجاز القران خصائصه الفنية وبلاغته العربية ، محمد حسين علي الصغير ، دار الشؤون الثقافية – بغداد ط1 1994 م
29. المحرر الوجيز أبو محمد بن عطية الأندلسي ا (المتوفى: 542هـ) ، تح : عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية – بيروت ط1 1422ه
30.
31. معاني القرآن ، أبو زكريا الفراء ت 207ه ، تح : محمد علي النجار – عبد الفتاح الشلبي ، الدار المصرية – مصر ط1
32. مفتاح العلوم ، أبو يعقوب السكاكي ت 626ه ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط2 1987م
33. النسق القرآني دراسة أسلوبية ، محمد ديب الجاجي ، دار القبلة –جدة ط1 2010 م
34. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، ابراهيم البقاعي ت 885ه ،دار الكتاب الاسلامي - القاهرة
35. النقد الادبي أصوله ومناهجه ، سيد قطب ، دار الشروق
36. النكت والعيون ، أبو الحسن الماوردي ت 450 ه ، تح : ابن عبد المقصود ، دار الكتب العلمية – بيروت

DOI: https://doi.org/10.33193/IJoHSS.58.2024.710